مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيدُ

سَعِيدُ عَبْدُ الحَيِّ

1957 - 1927

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

الشهيد

سعيد عبد الحي

1957 - 1927

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2012

ر . د . م . ك : 978-9931-312-12-3
الإيداع القانوني : 2012-3713

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب - معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

فِي يَوْم مِنْ أيَّام شَهْرِ مَايُو ذَهَبْتُ مَعَ أبِي فِي العُطْلَةِ الأسْبُوعِيَّةِ إلَى الحَقْلِ. خَرَجْنَا مِنَ المَنْزِلِ بَاكِرًا؛ وفِي الطَّرِيقِ شَاهَدْتُ الرُّعَاةَ يَسُوقُونَ قُطْعَانَهُم نَحْوَ المَرَاعِي، وَالفَلاّحِين يَحْمِلُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ أكْوَامًا مِنَ الْحَشِيش، وَيَضَعُونَهَا فِي عَرَبَاتٍ تَجُرُّهَا أحْمِرَةٌ عَلَى طُرقَاتٍ غَيْرِ مُعَبَّدَة.

كَانَ يَوْمًا حَارًّا يُشْبِهُ أيَّامَ الصَّيْف. سَاعَدْتُ أبِي عَلَى العَمَلِ بِمَا أسْتَطِيعُ. كُنَّا نَأمُلُ أنْ تَجُودَ عَلَينَا الأرْضُ بِغَلَّةٍ وَافِرَة.

عِنْدَمَا اقْتَرَبَتِ الشَّمْسُ مِنْ كَبِدِ السَّمَاءِ شَعَرْتُ بِعَطَشٍ كَبِيرٍ وَتَعَبٍ شَدِيدٍ، وَكَانَ أبِي أكْثَرَ مِنِّي تَعَبًا وَعَطَشًا؛ اسْتَلْقَى عَلَى الأرْضِ مِنَ التَّعَبِ تَحْتَ ظِلِّ نَخْلَةٍ بَاسِقَةٍ، وَمَسَحَ بِيَدَيْهِ قَطَرَاتٍ مِنَ الْعَرَقِ تَجَمَّعَتْ

عَلَى جَبْهَتِه وَوَجْنَتَيْه، ثُمَّ أطْلَقَ زَفْرَةً عَبَّرَ بِهَا عَمَّا كَانَ يَمْلأ قَلْبَهُ مِنْ هُمُوم الحَيَاةِ وَقَسْوَتِها.

كَانَ أبِي شَدِيدَ الحُبِّ للأرْضِ، لاَ يَتَوَقَّفُ عَن تَقْلِيبِ التُّرْبَةِ، أوْ إزَالَةِ الأعْشَابِ الضَّارَّةِ، أوْ تَنْقِيَةِ الأرْضِ المزْرُوعَةِ مِنَ الحِجَارَةِ، أوْ سَقْيِ التُّرْبَةِ، أوْ تَفَقُّدِ الثِّمَارِ وَالمزْرُوعَات.

كُنْتُ أرَى فِي عَيْنَيْه سَعَادَةً لاَ تُوصَف عِنْدَمَا يَقِفُ أمَامَ الغَلَّة الَّتِي تَجُودُ بِهَا الأرْضُ عَلَيْنَا، وَكَثِيرًا مَا سَمِعْتُهُ يَقُول: "مَا أجْوَدَ الأرْضَ! وَلَكِنَّهَا لاَ تَجُود إلا عَلَى مَنْ يَتَفَانَى فِي خِدْمَتِها".

طلبتُ مِنْ أبِي أنْ نَعُودَ إلَى المَنْزِل، فَقَالَ لِي: اجْلِسْ يَا سَعِيدُ! فَجَلَسْتُ وَأنَا مُحْتَارٌ مِنْ طَلَبِه، فَقَالَ: انْظُرْ إلَى هَذِه الأرَاضِي الشَّاسِعَة، وَالقِفَارِ الخَالِيَة، وَرِثْنَاهَا عَنْ آبَائنَا وَأجْدَادِنَا، كَانُوا سُعَدَاءَ بِالعَيْشِ فِيهَا، غَيْرَ أنَّ الاسْتِعْمَارَ الفَرَنْسِيَّ قَدْ نَغَّصَ عَيْشَهُمْ، فَحَوَّلَ أمْنَهُمْ إلَى خَوْفٍ، وَسَعَادَتَهُم

إلىَ شَقَاوَة. كَانُوا يَحْلُمُون أنْ يَعِيشُوا فِيهَا بِسَلاَم وَأَمَانٍ، وَلاَ يَهُمُّهُم إنْ كَانَتْ قِفَارًا؛ فَبِفَضْل سَوَاعِدِهِم جَعَلُوهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَزُرُوع.

وَلَكِنَّ المسْتَعْمِرَ كَانَ يَنْتَقِم مِنْهُمْ، فَيَقْتَلِعُ مَا تَحْتَ التُّرَابِ، وَيُتْلِفُ مَا فَوْقَهُ، لِمُجَرَّدِ أنْ رَآهُمْ سَانَدُوا الثَّوْرَةَ، وَلَمْ يَتَعَاوَنُوا مَعَهُ فِي القَضَاءِ عَلَيْها.

فقلت له: كَيْفَ كَانَ المجَاهِدُون يُوَاجِهُون العَدُوَّ فِي هَذِهِ الأرَاضِي الجَرْدَاء؟

فقال: كَانَ الْمُجَاهِدُون يَجُوبُون هَذِه الصَّحَارِيَ الشَّاسِعَةَ، لاَ يَمْنَعُهُم البَرْدُ وَلاَ الحَرُّ، وَلاَ يَثْنِيهِم رِيحٌ وَلاَ مَطَرٌ، وَلاَ ظَلاَمُ لَيْلٍ، وَلاَ وَهَجُ نَهَارٍ؛ يَحْمِلُونَ أسْلِحَتَهُم عَلَى أكْتَافِهِم، وَالذَّخَائِرَ فِي أجْرِبَتِهِم وأحْزِمَتِهِم. كَانَت الطَّائِرَاتُ تُطَارِدُهُم نَهَارًا وَالعَدُوُّ يَرْصُدُ تَحَرُّكَاتِهِم لَيْلاً، لاَ يَجِدُونَ غَابَات يَخْتَفُونَ فِيهَا، وَلاَ مَغَارَات يَلْجَأونَ إلَيْهَا. وَكَانَ الزَّادُ الَّذِي يَحْمِلُونَهُ مَعَهُمْ غَالِبًا لاَ يَتَعَدَّى كِسْرَةً مِنَ شَعِيرٍ،

وَقِرْبَةَ مَاءٍ سَاخِنٍ، لاَيُسْتَسَاغُ إلا بِصُعُوبَةٍ، وَحَبَّاتٍ مِنْ تَمْرٍ يَابِسٍ فِي أَحْسَنِ الأَحْوَال.

كَانَ أبي يَتَحَدَّثُ وَنَظَرُهُ مُصَوَّبٌ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَتَخَيَّلْتُ أَنَّهُ كَانَ يُعَبِّرُ عَنْ مَشَاهِدِ فِلْمٍ سِينِمَائِيّ عَنِ الثَّوْرَة. تَوَقَّفَ عَنِ الحَدِيثِ فَجْأَةً، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ شَارِدَ الذِّهْن.

فقلت له: فِيمَ تُفَكِّرُ يَا أَبِي؟

فقال: تَذَكَّرْتُ شَهِيدًا مِنْ وَادِي سُوف، كَانَ عَزِيزًا عَلَيّ.

فقلت: مَا اسْمُهُ؟

فقال: اسْمُهُ سَعِيدٌ مِثْلُ اسْمِكَ، وَلأَنَنِّي كُنْتُ أُحِبُّهُ أَطْلَقْتُ اسْمَهُ عَلَيْكَ عِنْدَمَا وُلِدْت.

فقلت: شَاهَدْتُ شَرِيطًا تَارِيخِيًّا بِمُنَاسَبَة يَوْم الطَّالِب (19 ماي) ذُكِرَ فِيهِ اسْمُ: سَعِيدِ عَبْدِ الحَيّ الَّذِي أَطْلِقَ اسْمُهُ عَلَى ثَانَوِيَّةٍ بِوَادِي سُوف، هَلْ هُوَ

الشَّهِيدُ الَّذِي تَذَكَّرْتَه؟

فقال: نَعَمْ، لَمْ أشَاهِد هَذَا الشَّرِيطَ. مَتَى عُرِضَ؟ فَقُلْتُ: عُرِضَ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ حِينَ كُنْتَ فِي المَسْجِد.

فقال: هَذَا رَجُلٌ عَظِيمٌ، جَمَعَ بَيْنَ العِلْم وَالجِهَاد. فَجْأةً نَظَرَ أبِي إلَى سَاعَتِه، فَقَالَ: حَانَ وَقْتُ الظُّهْر، هَلْ سَمِعْتَ الأذَانَ؟ فقلت: لاَ، لَمْ أسْمَعْهُ، نَحْنُ بَعِيدُون عَنِ المسَاجِد.

تَوَضَّأنَا وَصَلّيْنَا، ثُمَّ عُدْنَا إلَى المَنْزِلِ لِتَنَاوُل الغَداء.

وَفِي المَسَاء، وَبَعْدَ تَنَاوُل العَشَاء، اجْتَمَعَ أفْرَادُ العَائِلَة أمَامَ المَنْزِل لِيَشْرَبُوا الشَّاي، كَمَا هِيَ عَادَةُ سُكَّانِ الْجَنُوب. وَأثْنَاء السَّمَر تَذَكَّرْتُ الشَّهِيدَ سَعِيدًا عَبْدَ الحَيّ، فَطَلَبْتُ مِنْ أبِي أنْ يَحْكِيَ لَنَا سِيرَته، فَوَافَقَتْنِي أخْتِي "رِيمَ"، وَألَحَّتْ عَلَى أبِي الَّذِي حَاوَلَ

أنْ يُؤَجِّلَ الحَدِيثَ إلَى مَوْعِدٍ آخَر، لأنَّهُ كَانَ لاَ يَزَالُ يَشْعُر بِالتَّعَبِ مِنَ العَمَلِ فِي الْحَقْل.

فقال: قَدْ يَطُولُ بِنَا الحَدِيثُ، وَلِذَلِكَ نَحْتَاجُ إلَى مزيدٍ مِنَ الشَّاي، اطْلُبُوا مِنْ أمِّكُمْ أنْ تُحَضِّرَهُ قَبْلَ ذَهَابِهَا إلَى الفِرَاش لِلنَّوْم.

ذَهَبَتْ رِيمُ، وَأخْبَرَتْ أمَّهَا بِرَغْبَةِ أبِيهَا، ثُمَّ عَادَتْ بِسُرْعَة.

فقلت: مَتَى وُلِدَ سَعِيد عَبْدُ الحَيّ، وَأيْنَ عَاشَ فِي صِغَره؟

فقال الأب: وُلِدَ خِلاَل عَام 1927 بِبَلَدِيَّة ڤمَار، القَرِيبَةِ مِنَ مَدِينَةِ الوَادي، وَفِيهَا حَفِظَ القُرْآن الكَرِيمَ، وَتَعَلَّمَ مَبَادئ عُلُوم اللُّغَة وَالفِقْه عَلَى يَدِ مَشَايِخ المَسْجِد. وَلَمَّا أظْهَرَ تَفَوُّقًا فِي طَلَبِ العِلْم سَافَرَ إلَى تُونِسَ لِلدِّرَاسَةِ فِي جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ، حَيثُ واصَلَ الدّرَاسَةَ حَتَّى تَخَرَّجَ عَام 1954.

فقلت: قُلْتَ لِي وَنَحْنُ فِي الحَقْل: إنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ العِلْم وَالجِهَادِ فَلاَ شَكَّ أنَهُ شَارَكَ فِي الثَّوْرَةِ مُنْذُ بِدَايَتِها.

فقال: هَذَا صَحِيح.

فقلت: مَا هِيَ الأسْبَابُ الَّتِي دَفَعَتْهُ إلَى الالْتِحَاقِ بِهَا فَوْرا؟

فقال: عِنْدَمَا كَانَ طَالِبًا بِجَامِع الزَّيْتُونَة، كَانَ عُضْوًا نَشِيطًا فِي الحَرَكَة الطُّلاَّبِيَّة، وَأثْنَاء الإجَازَة كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى مَحَلّ أخِيه "إدْرِيس" الَّذِي كَانَ يُمَارِسُ التِّجَارَةَ وَفِي نَفْسِ الوَقْت كَانَ يُنَاضِلُ فِي صُفُوفِ حَرَكَة الانْتِصَارِ لِلحرِّيَّاتِ الدِّيمُقْرَاطِيَّة الَّتِي أسَّسَهَا مُنَاضِلُو حِزْبِ الشَّعْب فِي عَام 1946.

وَكَانَ المَحَلُّ الَّذِي يُتَاجِرُ فِيه أَخُوهُ يَتَرَدَّدُ عَلَيْه أعْضَاءُ المَنَظَّمَة الخَاصَّة الَّتِي أنْشَأتْهَا الحَرَكَة فِي عَام 1947.

ريمُ: مَا هِي الأَهْدَافُ الَّتِي أُنْشِئَتْ المُنَظَّمَةُ الخَاصَّةُ مِنْ أَجْلِها ؟

الأب: أَهَمُّهَا التَّحْضِيرُ المَادِّيُّ، وَالمَعْنَويُّ لِمَرْحَلَةِ الكِفَاحِ المُسَلَّحِ، ضِدَّ العَدُوِّ الفَرَنْسِيّ، الَّذِي رَفَضَ الاسْتِجَابَةَ لِمَطَالِبِ الشَّعْب الجَزَائِرِيِّ بِالمُقَاوَمَةِ السِّيَاسِيَّة.

سعيد: مَنْ هُمْ أَعْضَاءُ المُنَظَّمَةِ الخَاصَّةِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَرَدَّدُون عَلَى مَحَلِّ أَخِيهِ إِدْرِيس؟

الأب: مِنْ بَيْنِهِمْ مَسْؤُولُ المُنَظَّمَة عَلَى المُسْتَوى الوَطَنيّ فِي ذَلِكَ العَهْدِ (1948) مُحَمَّد بلوَزْدَاد، وَكَذَلِكَ العَرَبِي بَن مهيدِي وَغَيْرُهُمَا. كَانَ الطَّالِبُ سَعِيدُ عَبْد الحَي يَحْضُرُ بَعْضَ الجَلَسَاتِ، وَيَسْتَمِعُ إِلَى الحَدِيث الَّذِي كَانَ يَدُورُ فِيمَا بَيْنَهُم.

ريم: عَمَّ كَانُوا يَتَحَدَّثُون؟

الأب: كَانَ جُلُّ حَدِيثِهِم عَنْ نَشَاطِ الحَرَكَةِ، مِنْ

أجْل الإعْدَاد لِمَرْحَلَة الكفَاح المُسَلَّح، وَأهَمُّ ذَلكَ، كَيْفِيَّةُ الحُصُولِ عَلَى الأسْلِحَةِ، وَالتَّدَرُّبُ عَلَى اسْتِعْمَالِها.

أثَّرَتْ فيه هَذه الشَّخْصيَّاتُ الوَطَنيَّةُ، وَغَذَّتْ أفْكَارَهُ السِّيَاسِيَّةَ وَأحْيَتْ فيه الرُّوحَ الوَطَنيَّةَ. فَلَمَّا تَخَرَّجَ مِنْ جَامِع الزَّيْتُونَة، لَمْ يَتَرَدَّدْ لَحْظَةً فِي الالْتحَاق بِصُفُوف الثَّوْرَة مُنْذُ بدَايَتِهَا؛ كَمَا جَنَّدَ بَعْضَ التُونسيّينَ وَالجَزَائِريّين، الَّذين شَارَكُوا فِي المُقَاوَمَة التُّونسيّة بَعْدَ تَوَقّف العَمَل المسَلَّح في تُونسَ، وَأثْنَاء تردُّده على تُونسَ وَلِيبيَا كَانَ يَجْمَعُ الأسْلحَةَ، التي تم اكتسابها خلال الحَرْب العَالَميَّة الثانية لِفَائِدَة الثورة.

سعيد: أيْنَ التَحَقَ بِالثورة؟

الأب: الْتَحَقَ بِهَا فِي الأوْرَاس مَعَ عَبْد الكَرِيم بُوهَالِي، وَشِيحَانِي بَشِير، وَمُصْطَفَى بَنْ بُولعِيد، وَعَبَّاس لَغْرُور، وَشَارَكَ مَعَهُم فِي العَدِيدِ مِنَ

العَمَلِيَّاتِ ضِدَّ العَدوِّ، قَبْلَ أنْ يَلْتَحِقَ بِتُونِس.

ريم: لِمَاذَا سَافَرَ إِلَى تُونِس؟

الأب: رُفَقَاؤُهُ هُمُ الَّذِينَ كَلَّفُوه بِالتَّوَجُّه إِلَيْهَا لِتَنْظِيم الثَّوْرَة هُنَاك، لأَنَّ تُونِسَ كَانَتْ هَمْزَة وَصْلٍ بَيْنَ قَادَةِ الثَّوْرَةِ المَوْجُودِين خَارِجَ التُّرَابِ الوَطَنِيّ، وَقَادَتِهَا الْمَوْجُودِين دَاخِلَه.

سعيد: مَتَى التَحَقَ بِتُونِس؟

الأب: الْتَحَقَ بِهَا عَام 1955، لِلتَّنْسِيقِ بَيْنَ قَادَةِ الثَّوْرَة فِي الْخَارِج وقَادَتِهَا فِي الدَّاخِلِ.

ريم: كَيْفَ كَانَ يَتِمّ الاتصالُ بَيْنهم؟

الأب: لَمْ يَكُن الاتِّصَالُ سَهْلاً، وَإِنَّمَا كَانَ يَدُومُ أيَّامًا وَأسَابِيعَ، وَأحْيَانًا أخْرَى يَدُومُ شَهْرًا فَأكْثَر، لأَنَّ البَرِيدَ كَانَ يَسْتَعْمِلُ الحَمِيرَ وَالبِغَال، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الأحْيَانِ لاَ يَصِلُ البَرِيد، لأَنَّ قُوَّات العَدُوِّ كَانَتْ تَرْصُدُ المُجَاهِدِين العَابِرِين لِلْحُدُودِ.

سعيد: مَا هُوَ البَرِيدُ الَّذِي كَانَ يَأتِي مِنْ تُونِس؟

الأب: إنَّ الْتِحَاقَ سَعِيدٍ عَبْد الحي بِتُونِسَ كَانَ لَهُ عِدَّةُ أَهْدَافٍ مِنْهَا تَنْظِيمُ انْضِمَام الجَزَائِرِيِّينَ المُقِيمِينَ فِي تُونِسَ إِلَى صُفُوفِ الثَّوْرَةِ، وَكَذَلِكَ القَادِمِينَ مِنْ دُوَلٍ أُخْرَى رَغْبَةً فِي الانْضِمَام إِلَيْهَا، وَلَكِنَّ أَهَمَّهَا هُوَ جَمْعُ الأَسْلِحَةِ وَإِرْسَالُهَا إِلَى الْمُجَاهِدِين فِي الْجَزَائِر.

وَقَدِ اسْتَطَاعَ الشَّهِيدُ سَعِيدٌ عَبْد الحَي تَزْوِيدَ الثَّوْرَة بِالسِّلاَحِ وَالعَتَادِ الخَفِيف، وَتَجْنِيدَ الكَثِيرِ مِنَ الجَزَائِرِيّين مُنْذُ التِحَاقِهِ بِتُونِسَ إِلَى غَايَة اسْتِشْهَادِه فِي عَام 1957.

الْمَجْدُ وَالْخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ